

Imam Ismail bin Al-Qasim and his manuscript (Mas'alat Talaq Aldawr): study and investigation

Mr. Jamil Ghaleb Ahmed Al-Lahji

Faculty of Arts | Sana'a University | Yemen

Received:
21/12/2022

Revised:
29/12/2022

Accepted:
30/01/2023

Published:
30/06/2023

Abstract: This research aims to identify the manuscript of Imam Ismail bin Al-Qasim on (Mas'alat Talaq Aldawr) As well as identifying the sayings of scholars on the issue of role divorce, as well as identifying the personal aspects of the imam who relies on God, Ismail bin Al-Qasim , and the descriptive, analytical and inductive approach was used , using the content analysis method. Bin Al-Qasim Invalid , and it is not permissible for the ignorant to learn it, nor for the scholars to issue fatwas about it because of its invalidity , according to the evidence from the Book and the Sunnah, and the scholars made clear in their statements the invalidity of the role divorce according to the Book and the Sunnah, and the era of Imam Al-Mutawakkil was distinguished by justice and equality, and interest in science and scholars, and there were scholarly migrations in all regions of Yemen, and it was One of the diligent imams, as he authored many books on the religious and moral side..

Keywords: manuscript, Imam Ismail bin Al-Qasim, divorce, marriage.

* Corresponding author:

almorad9@gmail.com

Citation: Al-Lahji, J. G.

(2023). Imam Ismail bin Al-Qasim and his manuscript (Mas'alat Talaq Aldawr): study and investigation. *Journal of Islamic Sciences*, 6(2), 67 – 87.

<https://doi.org/10.26389/AJSRP.G211222>

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access



This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) [license](https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

الإمام إسماعيل بن القاسم ومخطوطه (مسألة طلاق الدور): دراسة وتحقيق

أ. جميل غالب أحمد اللاحي

كلية الآداب | جامعة صنعاء | اليمن

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى التعرف على مخطوطة الإمام إسماعيل بن القاسم في مسألة طلاق الدور ، وكذا التعرف على أقوال العلماء في مسألة طلاق الدور. وأيضاً التعرف على الجوانب الشخصية للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم. وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، بأسلوب تحليل المحتوى، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن تحقيق مسألة طلاق الدور عند الإمام إسماعيل بن القاسم باطلاً ولا يجوز أن يتعلمها الجهلة ولا أن يُفتي بها العلماء لبطانها ، وفق الأدلة من الكتاب والسنة، وأضح العلماء في أقوالهم بطلان طلاق الدور وفق الكتاب والسنة، وتميّز عصر الإمام المتوكل بالعدل والمساواة. والاهتمام بالعلم والعلماء وكانت توجد الهجرات العلمية في جميع مناطق اليمن، وكان أحد الأئمة المجتهدين، حيث قام بتأليف الكثير من الكتب في الجانب الديني والأخلاقي..

الكلمات المفتاحية: مخطوطة، الإمام إسماعيل بن القاسم، الطلاق، الزواج.

المقدمة

مما لا شك فيه أن الفقه في الدين الإسلامي يمتاز بالمرونة واللين، وأن تعلمه يتحتم على المسلمين؛ كي لا يقعوا في المخالفة، أو الشبهة، ومن المسائل المهمة والمتكررة في واقع المسلمين "الطلاق"، والذي يُعد من أهم المشاكل المتفشية في مجتمعنا الإسلامي. ولهذا كان موضوع بحثنا هو عن صورةٍ واحدةٍ من صور الطلاق المتعددة وهي "طلاق الدور". وقد قمنا بتحقيق السؤال والجواب وفق النظام المتداول عند المحققين، فالسائل هو القاضي محمد بن صلاح الفلكي، والمسؤول الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وقد أجاب الإمام المتوكل عن ذلك بجواب شافي ووافي، مستشهداً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال بعض أئمة أهل البيت على بطلان هذه الصورة من الطلاق، وأن اللازم على المجتمع أن يتقيد بالعبارات التي ذكرها علماء المسلمين في مؤلفاتهم الفقهية وغيرها.

يُعدُّ جانب الدراسة عن شخصية الإمام المتوكل على الله وعصره مهمًّا فيما يتعلق بهذا البحث، وذلك لكون الدراسة فيها الكثير من العبارات الغامضة التي تستدعي توضيحها، والأسماء الكثيرة للعلماء وغيرهم، وأسماء بعض المدن والقرى اليمنية، فقد تم ذكرها سرداً؛ لأن هذا الجانب يحتاج إلى بحث طويل جداً ومتعمق، ولأن موضوع البحث الحالي والمتعلق بدراسة وتحقيق حول مخطوطة الإمام المتوكل حول مسألة طلاق الدور، وهذا ما سعى البحث الحالي إليه.

إشكالية البحث:

أن الطلاق يعتبر مشكلة في الواقع البشري الإسلامي، فهو يؤدي إلى التفكك الأسري ابتداءً بالطفل حين يعيش يتيماً فهو أول الضحايا، وكذلك المرأة يؤدي بها إلى التسيب والضياع وبالذات حينما تكون أسرتها ضعيفة، والشعور بالنفور والوحدة، أما الرجل ربما بسبب الطلاق قد يقع في المحذور. ومن الأسباب الأساسية التي تجعل الزوجين أو أحدهما يطلب الطلاق: الجهل عن الشريعة الإسلامية، كذلك متابعة الأفلام والمسلسلات الهادفة إلى تمزيق الأسرة الواحدة من قبل أعداء الإسلام عبر شبكات التواصل، أو القنوات الإعلامية.

وتتمثل مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

- ما تحقيق مسألة طلاق الدور وفق مخطوطة الإمام إسماعيل بن القاسم؟
- ما تحقيق أقوال العلماء في مسألة طلاق الدور؟
- ما الجوانب الشخصية للإمام إسماعيل بن القاسم؟

أهداف البحث: يهدف البحث الحالي إلى الآتي:

- التعرف على تحقيق مسألة طلاق الدور وحكم الطلاق في الشريعة الإسلامية وفق مخطوطة الإمام إسماعيل بن القاسم.
- التعرف على تحقيق أقوال العلماء في مسألة طلاق الدور.
- التعرف على الجوانب الشخصية للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث فيما يلي:-

- التعرف على تحقيق مسألة طلاق الدور في ضوء مخطوطة الإمام إسماعيل بن القاسم.
- يتوقع أن تُسهم نتائج البحث في التعرف على شخصية الإمام إسماعيل بن القاسم وسيرته، كونه من الأئمة المغيبيين في بعض الكتب والمراجع.

- يُسهّم البحث في توضيح تحقيق أقوال العلماء في مسألة طلاق الدور، حيث يعتبر من أهم الظواهر التي تفكك الأسرة الواحدة، وأكثر ما يقع فيه الجاهلون بعلوم الدين الإسلامي.
- يُسهّم البحث من خلال نتائجه في معرفة أقوال العلماء في مسألة طلاق الدور والتي يجهلها الكثير من الناس، وذلك للحفاظ على العلاقة الزوجية، بدلاً من الكراهية والشتم والوقوع في المحظورات الشرعية.

الدراسات السابقة:

- نظراً لتعدد وجود دراسات سابقة تناولت مخطوطة الإمام إسماعيل بن القاسم في طلاق الدور، حيث تم سرد أبرز كتب العلماء الذين تناولوا موضوع طلاق الدور كالآتي:
- الدر المختار وحاشية ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ).
 - روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ).
 - المغني: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ).
 - شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار: العلامة عبد الله بن مفتاح.
 - البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970هـ).

منهج البحث: اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، بأسلوب تحليل المحتوى.

خطة البحث:

- يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:
- المقدمة: وتضمنت ما تقدم.
 - المبحث الأول: سيرة الإمام إسماعيل بن القاسم.
 - المبحث الثاني: النص المحقق.
 - الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: سيرة الإمام إسماعيل بن القاسم

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الجوانب الشخصية للإمام إسماعيل بن القاسم:

أولاً: مولده ونشأته: يعتبر الإمام إسماعيل بن القاسم من أهم الشخصيات السياسية التي ظهرت في اليمن في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وذلك لكون عصره يمثل أول مراحل الاستقرار السياسي للدولة الزيدية في اليمن بعد جلاء العثمانيين عنه، ولذلك فلا بد من التعرف على جوانب هذه الشخصية التي كان لها دور كبير في تاريخ اليمن.

ولد الإمام إسماعيل بن القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي ابن الرشيد، والذي ينتهي نسبه الشريف إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في مدينة شهارة⁽¹⁾، وقد رجحت أغلب المصادر في

(1) شهارة : من حصون صنعاء باليمن، كانت مما استولى عليه عبد الله بن حمزة الزيدي الخارجي أيام سيف الإسلام. ينظر: معجم البلدان، 3/ 374 وهي جبل عامر بالسكان في بلاد الأهنوم شمالي حجة، وفي العقد الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة اتخذها

منتصف شهر شعبان، عام (1019هـ / 1610م) ليكون عام ولادته، حتى أنه شهد جزءاً من حروب والده الإمام القاسم مع العثمانيين⁽²⁾.

أما نشأته: فقد نشأ في كنف والده الإمام القاسم، وكان ملازماً له، متأثراً به، حاضراً لأغلب تجهيزاته الحربية، ومجالسه الدينية والعلمية، وقد أهله ذلك؛ لأن يكون شخصية قيادية حربية، وعلمية فقهية⁽³⁾. وتقول بعض المصادر أنه بقي تحت كنف والده عشر سنوات، وبعد وفاة والده استمر بقاؤه في شهارة، ونشأ فيها⁽⁴⁾.

ثانياً: تعليمه: أما علمه فقد أخذ الإمام عن بعض علماء عصره العلوم الدينية واللغوية والبلاغية، وبرع في الفقه وتفوق على علماء عصره حتى اعترفوا له بذلك، ورجعوا إليه في كثير من المسائل الفقهية⁽⁵⁾.

كما اهتم الإمام بجمع الكتب العلمية واقتنائها ودراستها، والتقرب من العلماء، والفقهاء، الأمر الذي أدى إلى نشاط الحركة الفكرية في عهده، ووفد إليه العلماء من أنحاء متعددة داخل اليمن وخارجها كمصر والعراق والحجاز وخراسان والهند، واعتبر بعض كتاب سيرته أن تعداد العلماء في عصره قد فاق جميع الفترات الزمنية السابقة. وقد ألف الإمام الكثير من الكتب⁽⁶⁾ الفقهية وغيرها، التي دلت على غزارة علمه وتعمقه الفكري. ومن مؤلفاته:

- 1- الأربعون حديثاً في محاسن الأخلاق.
- 2- شرح الأربعين حديثاً في محاسن الأخلاق، وهو شرح مستوعب للكتاب السابق.
- 3- العقيدة الصحيحة والدين النصيحة (أصول دين).
- 4- البراهين الصريحة شرح العقيدة الصحيحة.
- 5- شرح جامع الأصول لابن الأثير.
- 6- أجوبة مسائل في الفقه (مجموع فتاوى). وما بين يدينا جزء من هذه الأجوبة.
- 7- تفتيح أبصار القضاة في المسائل المرتضاة⁽⁷⁾.

ثالثاً: صفاته: قد وصفه كُتَّاب سيرته بالحزم الذي يقابله الحلم، وبالشدة التي تقابلها الشفقة على الرعية عامة، وعلى الضعفاء منهم خاصة، حتى إن المؤرخين أكدوا أن مائدة الإمام لم تكن تخلو يوماً من المساكين والفقراء، وقد دلت الجرموزي على كرم الإمام عليه السلام وسخائه، وزهده، وتقشفه في مباحج الحياة، فقال: «أخبرني الولد حسين أسعده الله أنه سمع بدر بن عبد الله صاحب حضرموت، وقد حدث بعض العيون أنه حسب ما صار إليه في ليلة العيد من الإمام عليه، ولمن يتعلق به قيمته كخراج حضرموت في عام واحد»⁽⁸⁾. وقد وصفوه بأنه كان معتدل القامة، أسمر اللون، مقرون الحاجب، عظيم اللحية، أشعر الذراعين، مسيح البطن، قوي الحركة، كثير التبسم، رقيق بالأصحاب، رحيم بالضعفاء، حسن الخلق والسمت، إذا قعد في العلماء كان لسانهم الناطقة، وكلمتهم المارقة، داخل في أهل الدنيا لمعرفته لأحوالهم، خارج عنهم وعنهما لاعتزالها واعتزالهم:

الإمام المنصور القاسم بن محمد قاعدة لحكمه وعاصمة بلاده إلى أن مات فيها، ومن ثم ولده الإمام المؤيد محمد بن القاسم عليهما السلام. انظر: الحموي: معجم البلدان، (374/7).

(2) بهجة الزمن: يحيى بن الحسين بن القاسم، (18/1).

(3) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، (2/1). ومؤسسة الإمام زيد الثقافية: كتاب المتوكل على الله إسماعيل في بلاد اليمن، (28/1).

(4) بهجة الزمن، (18/1).

(5) الجنداري: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، (388/1).

(6) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (1135/1). وكتاب الإمام المتوكل على الله إسماعيل في بلاد اليمن، مصدر سابق، (ص:29).

(7) بهجة الزمن: يحيى بن الحسين بن القاسم، (12/1).

(8) سيرة المتوكل في بلاد اليمن، (ص:31).

بأحسن ما يثنى عليه يُعاب

تجاوز حد المدح حتى كأنه

وأما خصائصه فكأنه في جميع أحواله وأوقاته كالعبد الذليل بين يدي مالكة الجليل، عليه السكينة والوقار، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، حتى إنه إذا تحدث مع خاص أو عام يحرك شفتيه بعد ذلك بذكر الله سبحانه، وغير ذلك مما يطول تعداداه، ويعسر إيراده⁽⁹⁾.

رابعاً: مبايعته بالإمامة: وفي عام (1045هـ/ 1635م) توفي الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم واختلفت الآراء فيمن يخلفه في إمامة البلاد، فقد دعا أحمد ابن القاسم لنفسه بالإمامة في مدينة شهارة حاضرة المؤيد بالله، وكان أخوه إسماعيل في مدينة صوران باليمن، وعندما علم بوفاة أخيه المؤيد، وأعلن الخبر، رشحه آل القاسم للإمامة؛ لتوفر شروطها فيه وانعدام أكثرها في أخيه أحمد الذي تنازل لإسماعيل، وهكذا اتخذ الإمام إسماعيل من صوران عاصمة لدولته ومركزاً لإقامته، وتلقب بالمتوكل على الله، وصارت اليمن جميعها تحت حكمه في عام (1054هـ / 1644م)، من صوران إلى عدن⁽¹⁰⁾.

خامساً: وفاته: وفي عام (1087هـ / 1676م)، انتقل الإمام إسماعيل بن القاسم عليه السلام إلى جواربه عن عمر ناهز السادسة والستين عاماً، قضى منها في حكم البلاد اليمنية وتوحيدها خلال ثلاثين عاماً تقريباً، حتى اعتُبر عهده من أزهى العصور على الإطلاق لليمن آنذاك، ودُفن في مدينة صوران وتُعد حالياً إحدى مديريات محافظة ذمار⁽¹¹⁾.

وقد خلف الإمام ثلاثة عشر ولداً، هم: محمد، وعلي، والحسن، والحسين، وإبراهيم، وأحمد، وقاسم، ويوسف، ويحيى، وزيد، ومحسن، وموسى، وعبد الله، ولعل من المفيد أن نذكر هنا بعض الوصايا التي تركها لهم يحثهم فيها على أن يجمعوا بين خير الدنيا ورضا الله في الآخرة.

فمن جملة وصاياه لهم قبل وفاته عليه السلام:

(أوصيكم أمها الأولاد ذكركم وأثاكم وسائر قرابتي وسائر بني هاشم أن تتجنبوا الزكوات ولا تأكلوا منها شيئاً، ولو أكلتم الشجر، وابتغوا من فضل الله ولا يحملنكم الثقل على السكون في البيوت فاطلبوا الرزق من فضل الله، وتنقلوا، ولا تتخذوا السؤال حرفة، فبئست الحرفة، ولكن اطلبوا الرزق الحلال وإحياء الأموال، وأوصيكم بإصلاح ذات البين فإنه أفضل من عامة الصلاة والصيام)⁽¹²⁾.

المطلب الثاني: السياسة الداخلية في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم:

يمثل عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد مرحلة سياسية هامة في التاريخ اليمني الحديث، حيث برز كشخصية تاريخية يمنية مهمة في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وهو القرن الذي شهد منعطفاً تاريخياً هاماً تمثل في: (التداعي البطيء والطويل للإمبراطورية العثمانية... والتوسع الأوربي إلى كل جزء من المحيط الهندي).

فكان أن مهد خروج العثمانيين الأول من اليمن عام (1045هـ/ 1635م) للخطوة الأولى نحو إقامة دولة مركزية، حيث تولدت هذه الفكرة في أول أمرها في ذهن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، وازدادت معالمها وضوحاً إبان حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، الذي خلف أخاه المؤيد بعد وفاته عام (1054هـ/ 1644م).

(9) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (111/1).

(10) المصدر نفسه، (33). و الهادي: التاريخ أحمد محمد محمد الهادي، (222/1)، دون ط. و الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (54/1). و المؤيد بالله: طبقات الزيدية الكبرى، (236/1).

(11) المؤيدي: التحف شرح الزلف، (365/1). و بهجة الزمن: يحيى بن الحسين بن القاسم، (88/1).

(12) سيرة المتوكل في بلاد اليمن، (ص:33).

ثم عمد الإمام المتوكل بعد أن وطد دعائم حكمه، إلى اتخاذ ضوران عاصمة له، لوقوعها في جانب أنس الحصين، والذي يصعب السيطرة عليه، إضافة إلى كونها مركزاً سياسياً وقتئذٍ. ولكي يثبت سلطته؛ شرع الإمام في إخماد عددٍ من حركات التمرد والعصيان في أكثر من منطقة، كما حدث مع الشيخ يحيى بن روكان، في بلاد خولان. كذا ما جرى في شرعب بمدينة تعز باليمن سنة (1059هـ/1649م) حين رفض أهلها تسليم ما يخص الدولة من واجبات⁽¹³⁾.

ويتضح أن الإمام بعد أن قبض على الشيخ بن روكان-الأنف الذكر- عفا عنه، وحذره من أن يعود لمثل ذلك! بقوله: (أذن له بعد أن أعطاه كثيراً، وأحسن إليه إحساناً غفيراً). ولم تكن تلك الإجراءات نتيجة لضعف الدولة في السيطرة على الأوضاع، وإنما كان ذلك لضرورة حتمتها هذه الأوضاع، تمثلت بالحاجة إلى كسب هؤلاء حتى لا يتكرر ذلك في قبائل أخرى. هذا إلى جانب أن فعلاً من هذا القبيل يترك الأثر الطيب في نفوسهم-أي المذنبين- ونفوس العامة على حدٍ سواء، مما ينعكس أثره إيجابياً بالامتثال والطاعة للدولة. يضاف إلى ذلك أن الإمام اتبع سياسة الترهيب مع رؤساء القبائل، وذلك من خلال ما جسده رسائله التي أرسلها للرصاص-حين تقدمت القوات الإمامية لمقاتلة لإنهاء تمرده- والتي الأولى، وأبرز مثال على ذلك رسالته التي أرسلها للرصاص-حين تقدمت القوات الإمامية لمقاتلة لإنهاء تمرده- والتي رصدها المؤرخ الجرموزي على هذا النحو، فيقول: (إنك إذا لم تطع الله سبحانه وتعالى بطاعة إمام الزمان، فارفع الحُرم والأطفال ومن لا حاجة إليه في القتال، فإني أبرأ إلى الله مضرّة تلحقهم بسببك)..⁽¹⁴⁾.

وبدقة متناهية الصورة واضحة في السياسة التي اتبعها الإمام كخطوة أولى لمد نفوذه إلى مدن ومناطق عدن ولحج وأبين والشعيب ويافع وبنى أرض، وبلاد الرصاص وبلاد العولقي والفضلي، بغرض ضمها في إطار الدولة الواحدة، كما يتضح وبشكل أوسع العملية النهائية، والهادفة إلى توحيد اليمن تحت لواء دولة مركزية واحدة، امتدت سيطرتها فسيطرت على حضرموت، وما جاورها من مشرق اليمن وجنوبه، وشكلت بذلك مورداً اقتصادياً هاماً، كونها حلقة وصل بالتجارة الخارجية، ولاحتوائها على عدد من الموانئ-كالمكلا والشحر- يضاف إلى ذلك تأمين حدود الدولة الجديدة مع جيرانها في الجانب الآخر.

ولكي لا يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم أن هذه الأحداث مرت دون مواجهة من الخصم، أو تلقي هزائم وخسائر بين الطرفين، أو استسلام من أحدهما ولهذا سأقوم بذكر الآتي:
دخول أبين، ولحج، وعدن بجنوب اليمن.

عندما آل أمر الإمامة إلى إسماعيل بن القاسم عام (1045هـ/1635م) جهز ابن أخيه أحمد بن الحسن للاستيلاء على أبين ولحج وعدن، والذي كان لديه الاستعداد التام لتنفيذ المهمة، فغادر أحمد ابن الحسن مدينة إب بشمال اليمن مع جيش يتألف من ثلاثة آلاف مقاتل يساعده أخوه محمد، واتجه إلى الجنوب عند النجد الأحمر والجنند، ثم تقدم إلى الدمنة في أرض السلي ومنها إلى الأعمور ثم وادي حجر الذي يعتبر من أودية حضرموت، وهو إلى الغرب من المكلا إلى حائط اللثيم. وهناك التقى مع أمير المنطقة ويدعى الحسين بن عبد القادر بن محمد الجرهمي، الذي كان والده عبد القادر نصيراً مخلصاً للإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، ولكن هذا الحسين رفض الأسلوب الذي كان ينتهجه والده، واستعان بالقبائل لمنع جيوش الإمام إسماعيل بقيادة ابن أخيه أحمد من الدخول إلى تلك المناطق، الأمر الذي استدعى شن حرب عليه انتهت بانتصار أحمد بن الحسن واستسلام الحسين الذي فرّ هارباً تاركاً جنوده للمقاومة.

(13) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (1/54-55).

(14) المصدر نفسه، (1/56).

وبعد تحقيق ذلك الانتصار استولى أحمد على ممتلكات الحسين بن عبد القادر وصادر أملاكه وحفظ أسرته، ثم قام بإرسالها إلى الحج بصحبة ناصر بن عبد القادر أخ الحسين الذي كان مناصراً للإمام، وبعد هذا لحق الحسين بالإمام وابن أخيه وعمل معهما لتوحيد الأراضي اليمينية.
دخول بني أرض، ويقاع، وحضرموت:

شجع النجاح الذي حققته الجيوش الزيدية في لحج وعدن الإمام إسماعيل بن القاسم على المضي لتحقيق المزيد من الانتصارات؛ لا سيما وقد واتته الفرصة، وذلك عندما استجد به بدر بن عمر الكثيري سلطان حضرموت، والذي خلع عن السلطنة بواسطة ابن أخيه بدر بن عبد الله، ولإنجاد ذلك السلطان كان على الجيوش الزيدية أن تعبر العديد من الأراضي الجنوبية قبل الوصول إلى حضرموت، ومن هذه الأراضي بلاد بني أرض وبلاد يقاع.
لهذا أرسل الإمام إلى الأمير الحسين بن أحمد الرصاص أمير بني أرض رسائل تدعوه إلى الاستسلام السلمي، والسماح للجيوش بعبور أراضيه إلى حضرموت، ولكن الأمير لم يرفض السلام فقط، بل ورفض حتى السماح للجيوش بعبور أراضيه، وعندما علم الإمام بذلك أرسل شرف الدين بن مطهر حاكم رداً مع زيد بن مصعب وظاهر الحمداني، وكلاهما كان حليفاً للأمير الحسين، أرسلهم ليروا إن كان بإمكانهم إقناعه بتغيير موقفه، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل.

وبعد فشل الطرق الدبلوماسية تبأحت الإمام مع مستشاريه لمدة عام تقريباً حول مهاجمة الحسين بن الرصاص، وفي عام (1065هـ/ 1654م) تقرر الزحف بعد أن وصل تعداد الجيوش الزيدية التابعة للإمام عشرة آلاف رجل، معظمهم من صنعاء وقبائل حاشد وبكيل، وخمسمائة رجل أرسلهم الناصر بن عبد الرب أمير كوكبان.
هكذا وقد استمرت الحروب والمناوشات التي انتهت بمقتل الحسين ودخول جميع المناطق والأراضي التي كانت تحت سيطرته، تحت سيطرة الإمام، وبعد ذلك ظهر شقيق الرصاص وطالب بإرجاع أراضيه إليه، فأرجعت إليه ممتلكاته وأراضيه.

أما اليافعيون فقد كانوا شديدي الرفض للخضوع لنفوذ الإمام، وكذلك دارت بينهم وبين الجيوش الزيدية حروب عدة استسلموا بعدها، وسلموا أنفسهم، فأرسلهم أحمد بن الحسن إلى أخيه محمد الذي أرسلهم إلى الإمام إسماعيل بن القاسم في ضوران حيث استقبلهم بحرارة ووزع عليهم العطايا، وأكد لهم قبل عودتهم إلى أراضهم تطبيق حدود الشريعة الإسلامية فيها، ففرحوا بذلك وارتاحوا للإمام وقواده، وبعد هذا أسرع جميع القبائل في المناطق الجنوبية بالاستسلام، والقدوم إلى الإمام لتأكيد خضوعهم المطلق له.
وهذا ما يشير إلى أن الأمور لم تكن هادئة بالنسبة للزيديين بعد سيطرتهم على هذه المناطق، وإنما كانوا بحاجة إلى تأكيد هذه السيطرة بين فترة وأخرى بسبب تمرد القبائل، وهذا الأمر طبيعي بالنسبة لقبائل اليمن التي فرضت عليهم ظروفهم الاجتماعية تلك الحياة القبلية القاسية التي يصعب أن تذوب فيها الرواسب التقليدية التي ورثوها على مر السنين⁽¹⁵⁾.

المطلب الثالث: بعض علاقاته في شبه الجزيرة العربية والدولة اليعربية:

تمثلت علاقات الإمام إسماعيل بن القاسم في شبه الجزيرة العربية في الآتي:

1. العلاقات داخل الجزيرة العربية:

ولكون الدولة اليمينية جنوب شبه الجزيرة العربية؛ أحببت الحديث عن الدول العربية المجاورة لها، فمن جهة الشمال مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)، ومن جهة الشرق ما كانوا يُدعون آنذاك "اليعاربة" يقال:

(15) سيرة المتوكل في بلاد اليمن، (ص:37-38).

نسبةً إلى يعرب بن قحطان، وهي اليوم (سلطنة عمان) فاقتصر الحديث عن علاقة دولة الإمام المتوكل بهاتين الجارتين العربيتين كما يلي:

الأشراف في مكة: إن الحديث عن علاقة الإمام إسماعيل بن القاسم بحكام مكة من الأشراف لا بد أن يدفعنا إلى وضع العديد من الاعتبارات أمامنا قبل الخوض فيه مباشرة، وذلك لفهم طبيعة العلاقات، والأسباب التي أدت إلى صفائها في أغلب الفترات، فوحدة النسب بين كلا الطرفين وانحدارهم من السلالة الهاشمية الشريفة أثر إلى حدٍ ما في هذه العلاقة، ولعل خير ما يفسر ذلك هو هجرة الكثير من أشراف مكة إلى اليمن دون غيرها من الجهات، إذ كانوا زيديي المذهب.

عاصر الإمام إسماعيل بن القاسم منذ توليه الإمامة في اليمن حكم الشريف زيد بن محسن لمكة المكرمة، وارتبط معه بعلاقة قوية ظهرت دلائلها في الرسائل المتبادلة بين الطرفين، وهي دليل على متانة العلاقة التي ربطت الطرفين.

وفي ظل تنامي قوة الإمام كان أن ارتأى بسط نوع من النفوذ الإسلامي على الحجاز تبعاً لما يذكره الجرهموزي في سيرته، ففي عام (1068هـ/1657م) قام الإمام المتوكل بإرسال الفقيه الحسين بن يحيى النحوي إلى بلاد ينبع وما والاها من بلاد الحجاز (للتعليم والإرشاد) فرحب به أهل ينبع حيث (أقيمت الجمعة ودعوا الناس للإمام، ورفعوا مناره وأعلنوا شعاره). على أن الشريف زيد بن محسن قد رأى أن تصرفاً كهذا يُعدُّ تدخلاً في شؤنه الداخلية، هذا إلى جانب خشيته من العثمانيين -الذين كانوا يفرضون سيطرتهم آنذاك على مكة والحجاز- ومن بطشهم ف (عظم عليه... أن يهيم من قبل السلطنة . وحسماً لتفاهم الأمر بين الطرفين، وتردي العلاقات بينهما، أمر الإمام بعودة الفقيه النحوي في سنة (1071هـ/1660م) إلى البلاد .

ولم تكن علاقة الإمام تنحصر بأشراف مكة والحجاز، بل إنها امتدت لتشمل الأحساء والقطيف -من جهات نجد- فكان أن وصل اليمن عام (1095هـ/1649م) الشريف عبدالقادر بن نعمة الله بن الحسين، على رأس وفد كبير، كسفير من حاكم الأحساء لتعميق أواصر العلاقة بينهما، والتي لم تقف عند حدود تبادل الرسائل والهدايا بين الطرفين وحسب، بل جاوزت ذلك إلى (...موالاة أهل تلك الأطراف بحسن الولاء والإجابة والإشادة بذكر الإمام في تلك الأقطار، والدخول في الطاعة...) (16).

2. الدولة اليعربية:

لقد تأرجحت العلاقة بين الإمام واليعاربة "وهم أهل عُمان" بين الصفاء والكدر، كما أننا نجد أن هذه العلاقات لا تقتصر على المراسلات أو الاحتكاك العسكري فحسب، وإنما تعدته إلى لجوء بعض أهالي عمان إلى الإمام إسماعيل طالبين دعمه في خصومات حدثت بينهم وبين سلطانهم، وكان هذا عام (1086هـ / 1675م) (17).

فقد كانت على الضد من علاقته بالأشراف في مكة، حيث ظلت في تأرجح مستمر مداماً وجزراً. ومثلت فترة ضم الإمام لحضرموت والشحر وظفار أكثر المراحل اشتداداً وتأزماً في هذه العلاقة، حيث وجد الإمام نفسه -بعد سيطرته على تلك المناطق- أمام قوة بحرية كبيرة- في يد الطرف الآخر تتحكم بخطوط سير السفن البحرية، مما حتم عليه أن يحمي منافذه البحرية التجارية على طول الساحل الممتد من حضرموت إلى الشحر.

ولعل ذلك بسبب الهجوم الذي قامت به قوات اليعاربة على جعفر بن عبدالله الكثيري، الذي كان والياً على ظفار بحجة اعتدائه على السفن التجارية في البحر (18).

(16) الجرهموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (62/1).

(17) المصدر نفسه، (972/1). وسيرة المتوكل في بلاد اليمن، (ص:39).

(18) الجرهموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (63/1).

المطلب الرابع: بعضاً من الحياة الفكرية والإدارة العامة والحياة الاقتصادية لبلاد اليمن في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم.

أولاً: الحياة الفكرية لبلاد اليمن في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم:

تحدثنا في المبحث الأول عن نشأة الإمام إسماعيل بن القاسم، وعن بروزه على الصعيد الديني والعلمي، وعن اهتمامه بتنشيط الحركة الفكرية حتى فاق تعداد العلماء في عهده جميع الفترات الزمنية السابقة. ومن أبرز هؤلاء العلماء:

الحسن بن مطهر الجرهمزي، وإسماعيل بن يحيى الجحافي، والحسن بن يحيى حابس. والجدير بالذكر أن العلوم التي شاعت في ذلك العصر هي العلوم الدينية، وبعض علوم اللغة، والأدب، هذا وقد تبارى الكتاب اليمنيون في صناعة الإنشاء، فغلب السجع على أغلب رسائل وكتابات ذلك العصر، كما كان هناك اهتمام بكتابة التاريخ من قبل بعض اليمنيين⁽¹⁹⁾.

وهكذا نجد أن الإمام إسماعيل بن القاسم لم يكن الوحيد في أسرة آل القاسم الذي اهتم بتنشيط الحياة الفكرية، فقد اهتم والده القاسم من قبل بالعلوم الدينية واللغوية، وكانت له اليد الطولى في تأليف العديد من المصنفات، فكذا اهتم أولاده من بعده بالسير على نهج والدهم فقد سعى الإمام المؤيد ابن الإمام القاسم إلى نشر العلم بين أبناء اليمن، فأنشأ العديد من المدارس، وشجع الطلاب على البحث والبحث، ولم يكتف بذلك بل رصد لهم المكافآت المالية لمزيد من التشجيع، وفي المقابل انتشر العلم وسادت المعرفة لا سيما أن الإمام محمد بن القاسم كان المحرك لها.

وقد ألف محمد بن القاسم العديد من المصنفات التي دلت على شغفه بالعلوم والمعارف. واهتم أخواه الحسن والحسين بالعلم، ورغم أن الحسن قضى معظم وقته في الحروب أيام والده القاسم وأخيه محمد إلا أنه لم يهمل الغذاء الروحي الفكري، بل خصص لنفسه وقتاً يقرأ فيه ويطالع ويستزيد من العلوم على أيدي كبار العلماء في ذلك الوقت⁽²⁰⁾.

ومن الأمور التي تدل على اهتمام الإمام إسماعيل بن القاسم بتنشيط الحياة الفكرية المجالس التي كان يعقدها بين العلماء سواء أكانوا زيدية أو غير ذلك، وأيضاً سواء كانوا يمنيين أو من العلماء الوافدين إليه من أنحاء الأقطار الإسلامية، الذين يجدون في مجالسه العلمية ساحة واسعة للمناقشة والتحاور القائمين على حب العلم والاجتهاد⁽²¹⁾.

ثانياً: الحياة الإدارية العامة لبلاد اليمن في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم:

رغم اعتماد الإمام إسماعيل على الأمراء في تصريف شؤون الدولة إلا أنه كان عيناً رقيباً عليهم، إذ لم يتوقف عن إرسال الرسائل إليهم والتي يوصيهم فيها بالاستقامة ليستقيم الناس، كما كان يحذرهم من أخذ الرشوة، لم يكتف الإمام بذلك، بل كثيراً ما قام بجولات تفقدية للاطمئنان على استتباب الأمن والعدل بين أمراء رعيته، حتى اعتبرت أغلب الكتب التاريخية فترة حكم الإمام إسماعيل أزهى فترات الإمامة⁽²²⁾.

كان المتوكل مهتماً جداً بشؤون الرعية ففي أيامه كانت الطرقات آمنة، والأسعار منخفضة، ولم يكن أحد ليظلم الآخر حتى ولو كان كافراً. هذا وقد انتهج الإمام إسماعيل أسلوباً حازماً في معالجة بعض الأمور السياسية

(19) بهجة الزمن: يحيى بن الحسين بن القاسم، (228/1).

(20) سيرة المتوكل في بلاد اليمن، مصدر سابق، (ص:49).

(21) بهجة الزمن: يحيى بن الحسين بن القاسم، (228/1).

(22) المصدر نفسه، (96/1).

والإدارية الخاصة بدولته، ولذلك اهتم منذ البداية بالقضاء على الفوضى والاضطرابات والفتن التي انتشرت داخل المناطق التابعة لحكمه، وإخمادها حتى لا تؤدي إلى المزيد منها فتسبب الخلل في نظام الحكم.

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية في بلاد اليمن في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم:

مما لا يختلف فيه اثنان أن الجانب الاقتصادي رديف أساسي للجانب السياسي لاكتتمال بناء الدولة، الوضع الزراعي في اليمن خلال حكم الإمام المتوكل يؤكد المؤرخون أن اليمن قد اعتمد اعتماداً كلياً على انتاجه المحلي من الحبوب.

ولا شك أن اليمن هي إحدى الدول التي تتخذ من مياه الأمطار مصدرها الوحيد للزراعة، تتعرض بين فترة وأخرى لشحة في الأمطار، مما ينجم عنه الكثير من المشاكل في هذا الجانب. ونتيجة لهذه الوضعية ارتفعت الأسعار في السهل والجبل، وكان فيها شدائد هائلة.. اجتمع أهل الأسباب في تهامة إلى الحجاز، وبلاد صعدة، واليمن الأسفل، وجهات عدن، وذكروا السعر واستوائه... وأن الطعام صار كالفلل يكاد أن يباع بالميزان...

ولعله من نافلة القول أن لهذه الأزمات وما يصاحبها من تردٍ في أوضاع الأهالي، من أثر بالغ ينعكس سلباً على الوضع بصورة عامة، من معاناة الأهالي وعجزهم من توفير لقمة العيش الضرورية، وقد أصبحت حينها صعبة المنال؛ وما تولده هذه المعاناة من تدمير وسخط، مما يدفع الأهالي-في الغالب- إلى إعلان تمردهم على الدولة، والدخول في صراعات وخلافات في ما بينهم بحجة تأمين لقمة العيش.

حينها قامت دولة الإمام المتوكل بوضع الحلول والتدابير فقد كانوا يستخدمون المدافن وهي عبارة عن خزانات للحبوب في الجبال الصُّم، ويوزعونها للناس الذين تأثروا من الأزمة في الغذاء، وكذلك أمر الإمام المتوكل بإعمار وإصلاح السدود التي تحتوي على المياه الكثيرة للزراعة، على سبيل المثال؛ ترميم سد الإمام في صنعاء، والذي استفادت من ترميمه عدد من الأراضي الزراعية حيث (..سقى أهل شعوب أموالهم من الجراف والروضة والحشيشة..). ولم يقف هذا الإهتمام عند هذا الحد، بل تعداه إلى شق القنوات وحفر الغيول⁽²³⁾.

أما المجال التجاري؛ فلم يكن النجاح الذي حققته الدولة في المجال التجاري بأقل منه في المجال الزراعي، فقد شهدت اليمن خلال حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل حركةً تجاريةً واسعةً، مثلاً وجود التجار البانين -وهم من الهند- بأعداد هائلة حتى وصل الحد بهم -لكثرتهم- أن (كل مدينة أو سوق لم يخل منهم...).

ولقد لعب هؤلاء التجار، دوراً كبيراً في التبادل التجاري وشئون المال، فمال الناس (إلهم للشراء منهم والاستدانة والمرايحة في أموالهم...). إلا أن الإمام رأى أن وجود هؤلاء التجار البانين بأعداد كبيرة، وما يمارسونه من احتكار للتجارة واستغلال لظروف الناس المعيشية -بما يمارسونه من مرايحة في أوساط الناس- قد يؤدي إلى احتكار قبضتهم على اقتصاد البلاد. وهو ما كان يستدعي تحركاً من قبل الدولة لتفادي الوصول إلى وضع كهذا.

فكان أن قام الإمام سعياً منه للحد من نفوذهم التجاري ببعض الإجراءات، والتي يذكر منها المؤرخ الجرموزي كونه معاصر لهم ما قام به الإمام المتوكل في عام (1059هـ/1649م) من فرضه للجزية عليهم، على أن يكون (...على كل نفر قرشاً في كل شهر...). مقابل إقامتهم في البلاد، غير أن غالبيتهم رفضت دفع الجزية (...وعادوا إلى الهند وهو الذي أراد -عليه السلام- من تقليهم...). يضاف إلى ذلك أنه حدد أماكن خاصة بهم للبيع والشراء، بعد أن تم رفع العديد من الشكاوي ضدهم من قبل الأهالي بسبب تعاملهم بالربا. وهو ما كان من شأنه أن شل حركتهم، وحد من انتشارهم في العديد من المدن والمناطق، مما أدى بالتالي إلى تضائل نسبة بيع بضائعهم وانحسار تجارتهم، وبازدياد حركة النشاط التجاري بين اليمن والعالم الخارجي، ابتداءً الإمام بتأسيس نظام جمركي للبضائع الواردة⁽²⁴⁾.

(23) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (70/1).

(24) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (71/1).

ثم إن الإمام أمر أثناء إقامته في شهارة سنة (1056هـ/1646م): بإقامة دار الضرب للعملة فيها، وجعلها أربعة أنواع: درهماً كبيراً على وزن الدرهم الإسلامي من طيب الفضة، مكتوب في أحد جانبيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الآخر: المتوكل على الله أمير المؤمنين إسماعيل وتاريخ الضربة، ومحلها بمحروس شهارة. والنوع الثاني قطعة أغلظ منها وأثقل في الوزن مكتوب في جانبه اسمه -عليه السلام- وشهارة المحروسة، فالثمان من الأولى حرف واحد، ومن الثانية الخمس منها حرف واحد، فيكون الحرف من الأولى ثماناً ومن الأخرى خمساً.

والنوع الثالث: كل بقشة بقشتين يكون الحرف منها عشرين كبيراً. والنوع الرابع كما سبق قبلها من ضريبة اليمن البقشة برأسها، والحرف أربعون كبيراً. فكان لهذه العملة كما يشير الجرهموزي رواجاً كبيراً، وتداولها الناس حتى أنها وصلت إلى (مكة والمدينة). وكذلك أمر الإمام المتوكل ببناء المساجد مثل مسجد الروضة في صنعاء، وترميم القديمة من المساجد وتوسعة البعض، وكذلك ترميم بعض أسوار المدن⁽²⁵⁾. كذلك الأمر بإخراج الزكاة من أموال المسلمين، والخراج من أموال أهل الكتاب وهذه تعد مفروضات أساسية.

وهناك مفروضات جانبية: مثل رسم العيدين، ثم فرض رسوماً معينة على أصحاب الحوانيت في الأسواق يدفعونها لشيخ الليل (العسوس) وحرسه في مقابل الخدمة التي يؤديها لهم، وهي تفقد حوانيتهم ومخازنهم أثناء الليل، والتأكد من وجود الأقفال على أبوابها، وذلك لأن التجار كانوا لا ينامون فيها، بل يسكنون خارج السوق⁽²⁶⁾. وبهذا أكون قد أنهيت بحثي المتواضع فيما يتعلق بالدراسة عن شخصية الإمام المتوكل على الله إسماعيل راجياً من الله أن يوفقي لنيل الدرجات العالية في الدنيا والآخرة، سائلاً إياه أن يصلي على محمد النبي وآل بيته الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين، وأن يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين الصالحين أجمعين...

(25) بهجة الزمن: يحيى بن الحسين بن القاسم، (264/1).

(26) سيرة المتوكل في بلاد اليمن، (ص:52). و الجرهموزي: تحفة الأسماع والأبصار، (73/1).

عن الجميع فغفل على حجب ما يراه وهو المسئلة السابقة اذ اعلم الحاكم بقصص من اليقين بالدين
 فنشأ ما يرجع الى الدين فله المنع بوجاهة وان كان تقصير وعرضة من يرجع الى الدين فان
 كان لا يجد المناقضة فيها والمكاشرة من الميلى فلا تستغن من الدين وان كان لا يجد ذلك ما يتعزز
 بطلبه الناس وينفق به معانهم فلا يابى منع البيع منهم وفي سئلة الجنان اصله يقر
 ما ندى التيقن انما وضع بالقرابي والاختصاص فاذا زاي الحاكم في بعضه ان يادة على
 بعضه فغفل ما يراه ومثله الشاهد يشهد ايضا بما يغلب به ظنه من ان شهادته ومثله
 العدل الناظر لها يحكي ما يغلب في ظنيها
 معروا الى المصوم
 والله اعلم

بتلوه
المعيب لمولانا امير المؤمنين المتوكل على الله العليم
في في لظلاله والذون على سوا القاصي صلاح

سماه الرحمن الرحيم المهيمن رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله
 من سوال وند على مولانا امير المؤمنين المتوكل على الله اسم المومنين من القاصي محمد صلاح
 المذكره
 سماه الرحمن الرحيم ما قول مولانا امير المؤمنين عليه الغلوة
 والسلام ورحمة الله وبركاته وبخيانته كز امانته وساعة طلاق الدين والسي بطلاق
 التوقيل سواذ اوقع على سون من القامة وهو قول الروح لزوجته انت طالق فليلك عليك
 طلاق مني بوقت لا يتبع لزوجته ولا طلاق او ان وقع عليك بطلاق مني وانت طالق قيباه
 بوقت لا يتبع لزوجته ولا طلاق وحل يترف الخال من قولها انت طالق الى اخره وبين
 قوله ان وقع الى اخره توصل كون ذلك التامع من مقدم الشرط على شرطه او لان انما اللخر
 تودي الى ابطاله وما اذا ابوته الى ابطاله بطلان عديمع النا حق والمشرود فقط واذا امت
 وتقبل بحدوث المحتول فيه لم يكن كان يبرع بالخالفه ام لا يجوز لانه تودي الى المنع ما قصده

بن احمد الثلاثي وقالوا ما معناه ان المعلق لا يخلو عن احد احمر من ان علق
 قوله فييل ان يقع لفظ الطلاق من غير نظر الى المحتق وقع المعلق ولا نزاع وان اراد
 فييل حضور المعنى وهو وقوع الطلاق الناجن فالنقلو فييل ذلك لا يصح لان المعلق
 بالمحال لا قبل له فيقع الناجن انتهى هـ واما قوله السائل وها فتزوت الخال من قوله انت
 طالق الى لغزق و بين قوله ان وقع الى اخره مع عم الاول ودور الثاني بحمد العجسي
 باطلا بالانقاف واما قوله ثم صل ذلك التماخ الى اخره فقد بينا غلة بطلان الدور انها اما
 بالمخالفة لمن اد الشارح وكل اجتهاد خالف من اد الشارح ولس سراد الله منه واما لان اسائه
 يؤدي الى ابطاله وما ادى ثبوته الى ابطاله بطلان واما لانه عليه فيقبل المحال ووقوعه
 والنقلو فيقبل المحال باطل واما ان عدمه ثلما فيه من تقدم الشرط على شرطه والدور
 المقصود منه الشرط في المعنى كالمطوق بشرطه وقد تبين بما ذكرناه بحرم الدور
 والاقناب به وبيان المنصب الصحيح في المسألة و ما اذ ان العالح الا الضلال وحسبنا
 الله وكفى ونعم الوكيل هـ

بسم الله الرحمن الرحيم هـ

قال من لا فاسد المؤمنين المتقفل على الله العزمين الرحيم اسمعيل من امر المؤمنين لظلم الله به هـ
 عدع المسائل المرقتنا هـ مما تصمدة القضاء هـ سلام الله عليهم وانا محمد الله اليهم
 وقد عن منا عليهم ان يعملوا بما وصحناه ويحكموا به ذلك بما رحمناه سائلون ان
 بون بصا مننا بنون هدهاه وكونقنا الى ما فيه من فضناه فهم خيبنا ونعم الوكيل والحق
 الوكيل واليبيل وسلي الله على سيدنا محمد خير نبي لى وعلى اهل الطهيرة المقضيه هـ

بسم الله الرحمن الرحيم هـ

كبر لله رب العالمين

اللهم انا سالك التوفيق والاعانة يا اكرم الاكرمين هـ

المبحث الثاني: النص المحقق كما ورد أعلاه في النسخة الأصلية: (طلاق الدور) (27)

الجواب لمولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين في مسألة طلاق الدور على سؤال القاضي /محمد صلاح الفلكي⁽²⁸⁾ عنها

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله.
هذا السؤال ورد على مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم⁽²⁹⁾، من القاضي محمد بن صلاح الفلكي.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قول مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، ورحمته وبركاته، وتحياته، وكراماته في مسألة طلاق الدور المسقى بطلاق التنافي هل هو إذا وقع على صورته العامة؟ وهي قول الزوج لزوجته: «أنت طالق قبيل أن يقع عليك الطلاق مني بوقت لا يتسع لرجعة ولا طلاق»، أو «إن وقع عليك طلاق مني فأنت طالق قبيل بوقت لا يتسع لرجعة ولا طلاق».

وهل يفترق الحال بين قوله أنت طالق إلى آخره؟، وبين قوله إن وقع إلى آخره؟
وهل يكون ذلك التمانع من تقدّم المشروط على شرطه؟، أو لأن إثبات الأخر يؤدي إلى بطلانه؟، وما أذا ثبوته إلى إبطاله يبطل؟ وهل يمنع الناجز والمشروط فقط؟ وإذا ثبت ذلك فهل يجوز الدخول فيه لمن كان سريع المخالفة؟، أم لا يجوز؟؛ لأنه يؤدي إلى منع ما قصده الشارع من رفع الجناح في إيقاع الطلاق؟ وما الراجح من الأقوال المشهورة في هذه المسألة؟ وبينان مذهبكم الشريف فيها؟ فهذه حادثة دعت إلى معرفة ما تتعلق بها الحاجة، والجواب الشافي عمله، طوّل الله أعماركم للمسلمين، انتهى.

وهذا جواب المولى أمير المؤمنين أيده الله،

الجواب والله الهادي إلى الصواب أن الصورة الأولى وهي قوله: «أنت طالق قبل أن يقع عليك طلاق مني بوقت لا يتسع لرجعة ولا طلاق».

هي صورة الدور المتفق عليه وهي باطلة عندنا بمعنى أنها لا تمنع الناجز أي أن الطلاق واقع، واللفظ فيه إثم يعود على الزوج⁽³⁰⁾ لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾⁽³¹⁾.

(27) وهو توقف الشيء على ما يتوقف عليه. وله صور " منها " ما يتمنع في نفسه ولا يمنع الناجز وهو أن يقول : من لم تطلق منكن فصواحبا طوالت وكذا أنت طالق واحدة بعد واحدة أو قبل أو جنب أو تحت أو فوق واحدة، وكذا لو قال أنت طالق واحدة بعدها واحدة أو واحدة قبلها واحدة، فهذه الصور الثلاث لا يقع فيها شيء فيتمنع في نفسه ؛ ولا يمنع الناجز. العنسي: التاج المذهب لأحكام المذهب، (11/3). و النحوي: التذكرة الفاخرة، (ص:294). وانظر: ابن مفتاح: شرح الأزهار، (2/408-409).

(28) محمد بن صلاح الفلكي [...] سنة 1074هـ] محمد بن صلاح بن محمد بن ناصر بن محمد بن صلاح الفلكي: نسبة إلى فلانة قرية من قرى دمار، الذماري المذحجي. انظر: المؤيد بالله: طبقات الزيدية الكبرى، (2/407).

(29) الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد، [1019-1087هـ]، ينتسب إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أقام بشهارة إلى سنة أربعين، ثم توجه مع صنوه الحسين بن القاسم إلى الدامغ، وكانت دعوته بعد موت أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في سنة أربع وخمسين وألف، وسيرته وتفصيلها يحتمل مجلدات، توفي في جماد الآخرة سنة سبع وثمانين وألف، وقبره بالحصن مشهور مزور. رحمة الله عليه - المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (1/236-238).

(30) قال: أما الذي يتمنع في نفسه ويمنع الناجز فهو يسمى ب: الدور العام وله صورتان: إحداهما تصلح لأهل التتابع وغيرهم وهو حيث قال: أنت طالق ثلاثا قبل أن يقع عليك طلاق.

والثانية تصلح لمن لا يقول بالتتابع وهي: أن يقول أنت طالق قبيل أن يقع عليك طلاق فهذا يتمنع عند أهل المذهب فقط، ويمنع الناجز لأنه متى أوقع عليها، طلقه ناجزة انكشف كونها مطلقة من قبل، والقبل مشروط بهذا فلا تقع الآخرة لأن الطلاق عندنا لا يتبع الطلاق وإذا لم تقع الآخرة لم تقع الأولى؛ لأنه جعلها قبل الآخرة، والآخرة لم تقع، ولا قبل لغير واقع، ولا واقع في غير قبل أو بعد،

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « كل طلاق جائز إلا طلاق المغلوب على عقله »⁽³²⁾. وقال: « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح، والطلاق، والرجعة » روي هذين الحديثين في الترمذي⁽³³⁾. ووجه الاحتجاج بالآية والخبرين أنها زوجة.

والطلاق المذكور في الآية، والخبرين عامٌّ لكل من أوقع عليه الطلاق من الزوجات، وقد روي أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية ...، الرد لإرادة من أراد أن يطلق زوجته كم ما أحب⁽³⁴⁾، ولا تطلق ذكر ذلك حي إمامنا المؤيد بالله⁽³⁵⁾ رضوان الله عليه في جوابه المتضمن لإبطال هذه المسألة⁽³⁶⁾. وإنما قلنا أنه لا يمنع الناجز، ولا يقع به شيء؛ لأنه جارٍ مجرى قول القائل: أنت طالق قبل أن تطلع السماء! إذ الكل محال ولا قبيل للمحال.⁽³⁷⁾

وقال الإمام شرف الدين عليه السلام⁽³⁸⁾: أن العلة في إبطال الدور أن إثبات الطلاق الناجز فيه يؤدي إلى إبطاله، وما أذا إثباته إلى إبطاله كان باطلاً! ولهذا لم يفرّق بين الدور، والتحبيس⁽³⁹⁾ قال عليه السلام: وكلام والدنا الإمام عليه السلام معروف لكنه فرّق بين الدور والتحبيس؛ باعتبار علة ذكرها مع غيرها وهي تخص التحبيس كما قرره عليه السلام⁽⁴⁰⁾.

ويستكت عن العلة الأخرى وهي التي علمها المدار في علة بطلان التحبيس، والدور وغيرها من المسائل التي حصل فيها هذه العلة وهي: أنه علق الحكم في مسألة الملقى للدور التي حصل فيها هذه العلة وهي معنى قول المذاكرين⁽⁴¹⁾: أن في تصحيح إبطاله.

ومع قولنا قبيل لا يحتاج أن يقول بساعة لا تتسع لرجعة وطلاق؛ لأن قبيل وقت مضيق يلتصق بالطلقة الناجزة، فلا يكون بينهما فاصل بخلاف ما إذا قال قبل فالقبل متسع من عند النطق إلى أن يوقع الطلاق الناجز فيمكن إبطال الدور فيه بأن يراجع إذا كان الطلاق رجعيًا بقول أو فعل كوطء أو نحوه ثم يطلق. العنسي: التاج المذهب، (11-10/3). وابن مفتاح: شرح الأزهار، (408/2). ومن العلماء الذين قالوا بمنع طلاق الدور وعدم وقوعه بعض المذاهب الفقهية الأخرى قال: وَقَدْ عَزَا فِي فَتْحِ الْقُدِيرِ الْقَوْلُ بِإِبْطَالِ الدُّورِ إِلَى بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ مَشَايخِنَا وَالْقَوْلُ بِصِحَّتِهِ، وَأَنَّهَا لَا تَطْلُقُ إِلَى أَكْثَرِهِمْ، وَأَنْتَصَرَ لَهُ صَاحِبُ الْبَحْرِ، لَكِنْ رَأَيْتُ مُؤَلَّفًا حَافِلًا لِلْعَلَمَةِ ابْنِ حَجَرَ الْمُكِّيِّ فِي بَطْلَانِهِ، وَأَنَّهُ قَوْلُ أَكْثَرِ الشَّافِعِيَّةِ، وَأَنَّ الْقَرَأِيَّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ نَقَلَ عَنْ شَيْخِهِ الْعَزَبِيِّ عَبْدِ السَّلَامِ الشَّافِعِيِّ الْمَلْقَبِ بِسُلْطَانَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ، بَلْ يَحْرُمُ تَقْلِيدُ الْقَائِلِ بِصِحَّتِهِ وَيَنْقُضُ قَضَاءَ الْقَاضِي بِهِ لِمُخَالَفَتِهِ لِقَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَقَالَ: إِنَّهُ شَنَّ عَلَى الْقَائِلِ بِهِ جَمَاعَةً مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَأَنَّهُ نَقَلَ بِغَضِ الْأَيْمَةِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ الْإِتْفَاقَ عَلَى فَسَادِ الدُّورِ وَإِنَّمَا وَقَعَ عَنْهُمْ فِي وَقُوعِ الثَّلَاثِ أَوْ الْمُنَجَّرِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ شَارِحَ الْإِرْشَادِ قَالَ: إِنَّ الْمُعْتَمَدَ فِي الْفُتُوَى وَقُوعِ الْمُنَجَّرِ. ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، (230/3).

(31) سورة: البقرة: 229-229.

(32) المتوكل: أصول الأحكام الجامع لأدلة الحلال والحرام، (498/1). والترمذي: السنن، (488/3).

(33) الترمذي: السنن، (482/3). وابن ماجه: السنن، (658/1). والمتوكل: أصول الأحكام، (499/1).

(34) الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (125/4).

(35) يحيى بن أحمد بن الحسين بن أحمد ابن الحسين بن هارون العلوي الطالبي، أبو طالب الصغير، الملقب بالمؤيد بالله، من أئمة الزيدية في بلاد الديلم، ونشأ في جيلان، ودعا بها سنة 502هـ وقاتل الباطنية، واستولى على كثير من قلاعهم. ونفذت دعوته إلى اليمن سنة 511هـ وتوفي بقرية من أرض الديلم. الزركلي: الأعلام، (135/8).

(36) ذكر قول المؤيد بالله في شرح الأزهار، (480/2).

(37) ابن مفتاح: شرح الأزهار، (393/2).

(38) يحيى(شرف الدين) بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى الحسيني العلوي، الإمام المتوكل على الله، (877 - 965 هـ = 1473 - 1558 م): من أئمة الزيدية في اليمن. ومن فقهاءهم وشعرائهم. بوع بالإمامة في جبال صنعاء، بعد وفاة أبيه (سنة 943هـ) وعظم أمره. الزركلي: الأعلام، (150/8).

(39) التحبيس: هو أن يدخله قيد أو شرط مثل قوله: أنت طالق إن جاء فلان، وهكذا، انظر: ابن مفتاح: شرح الأزهار، (393/2).

(40) شرف الدين: أثمار الأزهار، (ص:109). أما والده فهو الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، صاحب كتاب شرح الأزهار.

(41) المذاكرين: هم ابن عطية النجرائي، والقاضي عبدالله الدواري، وسليمان بن هيجان الحمزي، وابن معرف؛ لأن هؤلاء لهم مذاكرات

باعتبار هذه العلة يبطل الدور والتحبيس وغيرهما مما يشارك في حصول هذه العلة، فمن هنا قَوِيَ عندنا بطلان الدور.

وأما فعل العوام ومن شاركهم في الجهل، أو اجترأ على الله سبحانه فهو أعظم خطراً من العاصي! وقد وقع من المفسد في مثل هذا الفعل ما لا يمكن شرحه في مسألة الدور⁽⁴²⁾، وفي الإفتاء بمذهب الناصر عليه السلام⁽⁴³⁾ من عدم وقوع طلاق البدعة وغيرهما من الشُّبُه المردية⁽⁴⁴⁾.

والدَّلَسُ الْمُغْوِيَةُ⁽⁴⁵⁾ التي وقع التغلغل فيها حتى لزم منه الخروج من الدين! والرفع لكثير من أبواب الشرع، ولقد كان الجرأة على فعل القبيح عياناً أهون من مخادعة السميع البصير، اللطيف الخبير، قال الله تعالى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁶⁾. انتهى.

قال الإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام⁽⁴⁷⁾ في بعض فتاويه ما لفظه: أنه لا يتوجه قط أن يصحح مسائل الدور والتحبيس في الطلاق، حتى قال فإن هذا قد سرى وكثر وصار به الطلاق كلا طلاق، واختلطت الأمور، أو ركب الفراش على الفراش! وما هذا دين الله ولا شرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا عِلْم في وقت السلف، ولا قُضِي به..

وقال الإمام الحسن بن علي عليه السلام⁽⁴⁸⁾: لا حكم لما يفعله العوام من الدور على نساءهم؛ لأنه يتضمن رفع مقاصد الشرع من الآيات القرآنية والآثار النبوية من رفع الجُنَاح عن المفارقة متى شاء، وشرع التخلية، والتسريح حين يشاء، ولأن من قصد الشارع في الطلاق رفع الضرر والضرار، والإمسك بالمعروف، والتسريح بإحسان.. قال والدنا المنصور بالله عليه السلام⁽⁴⁹⁾ في جواب من سأله عن الدور. الجواب: أنه ليس بطلاق، ولا يمنع الطلاق⁽⁵⁰⁾.

على شرح الأزهاري، وطبقته تُسمى بطبقة المذاكرين، وكتبتهم لا زالت مخطوطة. ابن مفتاح: مقدمة شرح الأزهاري، (ص:101).

(42) وهذا الدليل عقلي قال به الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

(43) الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين العلوي الهاشمي، (225 - 304 هـ = 840 - 917 م)، أبو محمد: ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان. كان شيخ الطالبين وعالمهم. مولده بالمدينة اتفق الزيدية والامامية على نعتة بالإمامة، فأقام ثلاث عشرة سنة. وكان أهلها مجوساً، فأسلم منهم عدد وافر. وبنى في بلادهم المساجد، ونشر بينهم المذهب الزيدي. ثم ألف منهم جيشاً وزحف به إلى طبرستان، فاستولى عليها سنة 301 هـ، ولقب بالناصر. وكان يدعى (الأطروش) لصمم أصابه من ضربة سيف في معركة. انظر: الزركلي: الأعلام، (200/2).

(44) الشريف المرتضى: مسائل الناصريات، (314/1).

(الدَّلَسُ، بِالْتَّخْرِيكِ: الظُّلْمَةُ، وَالمُدَّالَسَةُ: المُخَادَعَةُ. ابن منظور: لسان العرب، (86/6). 45)

(46) سورة: البقرة: 9.

(47) عز الدين بن الحسن [548-900هـ]، بن الهادي بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن الأمير الكبير يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسين الهدي، نشأ نشأةً طاهرة، لم يزل منذ عقل، إلى أن كمل مولعاً بالعلم وتحصيله، ابتدأ طلبه العلم بوطنه، ثم قصد صعدة، فقرأ فيها على شيوخ عدة رئيسهم وشهريهم القاضي علي بن موسى الدواري في أكثر الفنون، وصنف فيها وما قد تم له من السنين عشرون. المؤيد بالله: طبقات الزيدية الكبرى، (89/2).

(48) الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى، [...] - 1026هـ]، الحسين الهدي، الإمام الناصر للحق. نشأ بصعدة على ما نشأ عليه أبأوه الكرام، فقرأ في كتب الفقه ك(البحر الزخار)، وغيره من كتب الأئمة الأطهار، وشيعتهم الأخيار وغيرهم من علماء الأمصار، منهم: الفقيه العلامة تلميذ الإمام شرف الدين صلاح بن يحيى قيس، وقرأ الرسالة الشمسية. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (279/1).

(49) المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان الحسيني اليمني مولده سنة: (561هـ)، ودعوته سنة: (594هـ)، ووفاته سنة: (614هـ)، من عظماء الإسلام وكبار أئمة آل الكرام، إماماً مجتهد مجاهد مجدد، عالم موسوعي في الأصول والفروع، فاق مجتهد عصره علماً وأدباً وجهاداً واجتهاداً، فهو العالم الفقيه الأصولي النحوي اللغوي المؤرخ الأديب الشاعر البليغ. نقلاً من كتابه المهذب، (ص:4). والمؤيدي: التحف شرح الزلف، (271/1).

أما قوله ليس بطلاق: فلتعليقه بوقتٍ مستحيل فيه الوقوع حتى قال: وأما أنه لا يمنع الطلاق فلعموم أدلة صحة الطلاق، والدور لا يخصص إجماعنا.

وقال حي إمامنا المؤيد بالله رضوان الله عليه في أثناء جوابه في هذه المسألة وقد عرضنا هذه الحيلة⁽⁵¹⁾ على كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم نجد: لكونها مانعة لوقوع الطلاق الناجز بعدها دليلاً⁽⁵²⁾.

وروي عن السيد صلاح الدين عبدالله بن يحيى أبو العطايا⁽⁵³⁾ أن الدور والتحبيس سواء. قال: ولا ينبغي تعليم العوام هذا الطلاق بل يجب الإنكار على فاعله، وكذا الفُتيا به؛ لأن فيه منعاً لما شرعه الشارع من الطلاق؛ لأنه شُرِع لدفع ما يحصل من منكر، والمحرم، من الضيق، والحرج، والشدة، والخوف؛ لعدم الوفاء بما يجب على كل واحدٍ منهما، ففي منع الطلاق ارتكاب محرمات واستمرارها⁽⁵⁴⁾.

قال في هامش الهداية ناقلاً عن هامش التلخيص⁽⁵⁵⁾. قال الدارقطني⁽⁵⁶⁾: كان ابن سريج⁽⁵⁷⁾ رجلاً فاضلاً لولا ما أحدث في الإسلام من مسألة الدور في الطلاق⁽⁵⁸⁾. وروي عن القاضي جعفر بن أحمد بن أبي يحيى بن عبدالسلام رحمه الله تعالى⁽⁵⁹⁾ في ذيل كلام له أجاب به من سأله عن مخلص في طلاق قد ذكره، ومن لا يأخذ بالسريجية، وهي المسألة المروية عن ابن عباس بن سريج من أصحاب الشافعي، وأما من يعتمد عليها فربما يكون فيها ملخصاً له عند من اختارها، ولعل السائل ربما أراد أن يسوق الكلام إليها، ولسنا نرى ما يراه ابن سريج فيها، تم⁽⁶⁰⁾.

قال وليس يلزم في كل من أوقع نفسه في هاويته؛ لجهله أن يكون له في الشريعة حيلة مخلصه له من وقوعه فيها، فلقد يتفق ذلك، وقد لا يتفق.

وقال الفقيه علي قاسم السحامي⁽⁶¹⁾ ما لفظه: أقول وأنا العبد الفقير إلى كرم الله علي بن قاسم السحامي فيما ذكر من طلاق الدور، وذكر صفته، ثم قال: فقلت بل قد وقع أحدها لا محالة، أما الناجز فلأنه طلاق من أهله وهو الزوج وصدر إلى محله وهو الزوجة.

(50) المنصور بالله: المهذب في فتاوى الإمام عبدالله بن حمزة، (ص:181).

(51) في حاشية المخطوطة كلمة الحيلة أي: "الجملة".

(52) ابن مفتاح: شرح الأزهار، (408/2).

(53) عبدالله بن يحيى بن المهدي بن القاسم، العلامة الحافظ أبو العطايا، ولد سنة (810هـ)، ونشأ على العلم والعبادة، ومكارم الأخلاق، كان مفسراً ومحدثاً ومفتياً، تخرج عليه جماعة من أكابر العلماء، وعكف على التدريس حتى توفي سنة (873هـ). المؤيدي: التحف شرح الزلف، (205/3).

(54) ابن مفتاح: شرح الأزهار، (408/2).

(55) الوزير: هداية الأفكار إلى معاني الأزهار، (110/1).

(56) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني الشافعي (306 - 385 هـ = 919 - 995 م): إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراءات وعقد لها أبواباً. ولد بدار القطن (من أحياء بغداد) ورحل إلى مصر. الزركلي: الأعلام، (314/4).

(57) أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، (249 - 306 هـ = 863 - 918 م). أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره. مولده ووفاته في بغداد. له نحو 400 مصنف. الزركلي: الأعلام، (185/1).

(58) ابن مفتاح: شرح الأزهار، (409/2). نقل عن جواهر الفتاوى أن القول بطلاق الدور راجع لأبي العباس بن سريج من أصحاب الشافعي وأنه أنكر عليه جميع أئمة المسلمين وأنه قول مخترع، فإن الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة السلف من أبي حنيفة والشافعي وأصحابهما أجمعت على أن طلاق المكلف واقع، ينظر: البحر الرائق: 3/ 294، الدر المختار: 3/ 229.

(59) جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى، المتوفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وكان الإمام عبدالله بن حمزة يقول في كتبه: إذا ذكر الإمام أحمد بن سليمان والقاضي جعفر قال: الإمام والعالم، أفتى بذلك الإمام والعالم، حكى ذلك الإمام والعالم. توفاه الله: في شهر ربيع الثاني سنة ست وستين وخمسمائة، عن ست وستين سنة. المؤيدي: التحف شرح الزلف، (233/3).

(60) النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين، (165/8).

(61) علي بن ناصر الدين المعروف بالسحامي صاحب كتاب: (البيان)، الفقيه المحقق الفاضل جمال الدين، وهو على إحدى الروايتين أخو

فالشروط المعتبرة في الطلاق حاصلة فيهما، فإن قلت ليست محلاً في تلك الحالة؛ لأنه انكشف أنها مطلقة من قبل، أعني الطلاق المشروط. قلت: نقضت قولك لا يقع أيهما لزمك وقوع أحدهما لا محالة، وبعد الوقوع لا يرتفع، وبسط الكلام في ذلك حتى قال: فإن قلت فما حكم من عمل بذلك؟ أو أفتى به؟ قلت: بعد هذا التلخيص قد خالف الكتاب، والسنة، والإجماع!

أما الكتاب، والسنة فلأن الطلاق لا يزيد فيهما على ثلاث وهذه الجملة تؤدي إلى استحلال الزوجة لو قد طُفقت أكثر من ثلاث.

وأما الإجماع فلأن الأمة بين قائلين، قائل بأن الطلاق لا يتبع الطلاق، وهو يمتنع عندهم إلا نوعه، وإلا لزم أن من قال لزوجته: أنت طالق إن دخلت الدار، ثم قال لها بعد ذلك أنت طالق طلقة ناجزة لا شرط فيها إلا تعلق هذه الناجزة، ولا قائل بذلك، انتهى.

وقد ذكر في أثناء كلامه أن من قال الطلاق يتبع الطلاق يقع الناجز والمشروط عنده جميعاً. وقال القاضي محمد بن أحمد العاهسي⁽⁶²⁾، صاحب الذراع، وهو أحد العلماء الذين أخذوا عن ابن رابع⁽⁶³⁾، وعاصر الإمام شرف الدين عليه السلام، قال: لا يخلوا لكاشفٍ إما أن يكون صحيحاً، أو باطلاً، فإن كان صحيحاً فالصحيح لا يبطله شيء، وإن كان باطلاً لم يصح التعليق بقبله؛ لأنه قبل لا بعد له مثل: أنت كذا قبل طلوع السماء! فلا يصح التمانع الذي ذكروا.

قال الإمام المؤيد بالله رضوان الله عليه: وكان يرى بطلان الدور السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن المهدي الجحافي رحمه الله⁽⁶⁴⁾، وكان محرراً منصب الاجتهاد، وهو من قضاة الإمام الحسن بن علي، والإمام القاسم⁽⁶⁵⁾ وولائهما سلام الله عليهم، وكذلك القاضي العلامة إبراهيم بن محمد بن مسعود الحوالي⁽⁶⁶⁾، روى ذلك لنا سيدنا القاضي عامر بن محمد الذماري رحمه الله تعالى⁽⁶⁷⁾ عن سيدنا القاضي العلامة يوسف بن علي الحماطي⁽⁶⁸⁾. انتهى.

العلامة سليمان بن ناصر مصنف (شمس الشريعة)، وقيل هو ابن أخيه علي بن الحسن بن ناصر الدين وقد ذكرنا (مسكنهم صرحه) وشيئاً من أحوالهم. ابن أبي الرجال: مطلع البدر ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، (308/3).

(62) لم أجد فيما بحثت عن معلومات في هذا العالم؛ إلا فيما أثبتته المتن فقط.
(63) محمد بن عبد الله بن رابع، [...] ق 10هـ] القاضي العلامة بدر الدين، سمع على الإمام شرف الدين كتب الفقه ك(الشرح لابن مفتاح)، و(التذكرة) و(مفتاح الفرائض)، و(شرح الناظري)، وسمع أيضاً عليه (أحكام البحر الزخار) في سنة ست وثلاثين، أو خمس وثلاثين وتسعمائة، ثم أجازته عليه السلام. - انظر: المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (425/2).

(64) إبراهيم بن المهدي بن علي بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم، [...] - 1011هـ]، الجحافي، القاسمي، الحسيني، العلوي، السيد صارم الدين. قرأ أصول الأحكام وغيره على السيد أحمد بن عبد الله بن الوزير، وأجازته عامة. وأخذ عنه: الإمام القاسم بن محمد. عليه السلام. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (77/1).

(65) القاسم أمير المؤمنين المنصور بالله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين، الحسيني، [967 - 1029هـ]، الهدوي، القاسمي، اليميني العلامة، مولده في: صفر عام سبع وستين وتسعمائة لإثني عشر خلت من صفر، بالشاهل من بلاد الشرف نشأته محافظة حجة. كان معروفاً بالطهارة، وقوة القلب والبطش. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (286/2).

(66) إبراهيم بن محمد بن مسعود، ويقال: إبراهيم بن مسعود؛ نسبة إلى جده الحوالي بضم الحاء المهملة، الحميري. قرأ على العالمين علي ومحمد ابنا رابع، وسمع (البحر الزخار) على محمد بن رابع، وروى كتب الأئمة وغيرها عن الفقيه سعيد بن عفاف القداري، كان حافظ مذهب الأئمة وشيعتهم، بل حافظ المذاهب على الإطلاق. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (66/1).

(67) عامر بن محمد الصباحي: [...] - 1047هـ]، نسبة إلى بيضاء صباح؛ قرية من مشارق اليمن، القاضي العلامة، قرأ في مبادئ أمره في ذمار، ولقي الشيوخ منهم المحقق الأضرعي، ثم قرأ على شيخه القاضي عبد القادر بن حمزة البيهقي التهامي، ثم رحل إلى صنعاء فقرأ فيها على "بياض في المخطوطات"، ورحل إلى شيخ الزيدية في الفروع إبراهيم بن محمد بن مسعود الحميري إلى الظهرين. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (493/1).

(68) يوسف بن علي الحماطي الأنسي، نجم الدين، [...] - 1007هـ]، قرأ في الفقه على الفقيه العلامة علي بن قاسم السنحاني، وفي البحر (عن) عبد الله بن القاسم العلوي، وأخذ عنه: جماعة منهم: محمد بن علي الشكايني. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (151/3).

قال: وحُرِّرت هذه المراجعة في حضرة شيخنا السيد العلامة صالح بن عبد الله القاسمي الغرْباني⁽⁶⁹⁾، وسيدنا القاضي عامر بن محمد الذماري، رحمه الله، وسيدنا عبد الهادي بن أحمد الثلاثي⁽⁷⁰⁾، فقالوا ما معناه: أن المعلق لا يخلو عن أحد أمرين: إن علق قوله قُبيل أن يقع لفظ الطلاق من غير نظر إلى المعنى وقع المعلق، ولا نزاع. وإن أراد قُبيل حصول المعنى وهو وقوع الطلاق الناجز، فالتعليق بقُبيل ذلك لا يصح؛ لأن التعليق بالمحال لا قِبَل له فيقع الناجز، انتهى.

فأما قول السائل: وهل يفترق الحال بين قوله: أنت طالق إلى آخره، وبين قوله: إن وقع إلى آخره؟ فنعم، الأول دور، والثاني تحبب، والتحبب باطل بالاتفاق.

وأما قوله: ثم هل ذلك التمانع إلى آخره فقد بيّنًا بطلان الدور أنها إما المخالفة لمُرَاد الشارع، وكل اجتهاد خالف مراد الشارع؛ وليس بمراد الله منه، وإما لأن اثباته يؤدي إلى إبطاله، وما أدى ثبوته إلى إبطاله بطل!، وإما لأنه تعليق يقبل المُحال وقوعه، والتعليق بقبول المُحال باطل، وأما التحبب فلما فيه من تقدّم الشرط على مشروطه، والدور المقصود منه الشرط في المعنى كالمندقوق بشرطه، وقد تبيّن بما ذكرناه تحريم الدخول والإفتاء به، وبيان المذهب الصحيح في المسألة، وماذا بعد الحق إلا الضلال، وحسبنا الله وكفى ونعم الوكيل.

الخاتمة

- 1- إن القرن الحادي عشر الهجري والذي عاش فيه الإمام المتوكل يُعدّ أزهى القرون الماضية.
- 2- أن الإمام المتوكل على الله إسماعيل يُعدّ أعلم أهل زمانه فقد بلغ درجة الاجتهاد في مرحلة وجيزة.
- 3- إن الدولة المتوكلية تركت بصمة عظيمة في اليمن؛ حيث وحدت الشطرين الجنوبي والشمالي، وأخرجت المحتلين العثمانيين، وكانت لليمن عُملات محلية الصنع تُطبع في مدينة شهارة، وهذه النقطة رفعت من شأن الجانب الاقتصادي آنذاك.
- 4- أن اليمن كانت عبارة عن أقاليم وفي كل إقليم قائد اختاره الإمام المتوكل، الذي يحكم الجميع.
- 5- كانت اليمن تعيش حالة من الاضطرابات المختلفة بسبب الاحتلال العثماني الذي كان جائماً على الأرض حتى هباً الله الإمام القاسم وأولاده المؤيد والمتوكل وغيرهم من الأحرار لدحر أولئك الغزاة.
- 6- إن أول من قال بطلاق الدور هو ابن سريج من علماء الشافعية؛ مع أن الشافعية لا تقول به.
- 7- إجماع علماء المسلمين على بطلان طلاق الدور وتحريم الفتيا به؛ كونه مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وحكم طلاق الدور: أنه ناجز وواقع من المكلف بإجماع المسلمين وأئمة السلف
- 8- صورة طلاق الدور، والتحبب، أما الدور فهو قول الرجل لزوجته: أنت طالق قبل أن يقع عليك طلاق مني بوقت لا يتسع لرجعة ولا طلاق) والعلة في بطلانه التعليق بوقت مستحيل!. أما التحبب كقوله: (أنت طالق قبل أن تطلعي السماء) والعلة في بطلانه التعليق بوقت مستحيل!. والنتيجة بطلانهما جميعاً والحجة ما ذكر الإمام المتوكل على الله في جوابه لمن سأله عنها.
- 9- أن القول بعدم بطلان هذه الصور لم يقل بها شرع الله، ولم يُعلم به في زمن السلف، ولم يقض به أحد.

(69) صالح بن عبد الله بن علي بن داود بن القاسم بن إبراهيم بن القاسم بن إبراهيم بن الأمير محمد ذي الشرفين بن جعفر بن القاسم بن علي العياني، [960 - 1048هـ]. المعروف بابن مُغل بضم الميم وفتح المعجمة، ثم لام، القاسمي، اليمني، الشهاري، الغرْباني. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (450/1).

(70) عبد الهادي بن أحمد بن صلاح بن محمد بن الحسن الثلاثي، [...] - 1048هـ]. المعروف بالحسوسة بمهملات وأولاهما مكسورة، القاضي العلامة، الأصولي. فمن شيوخه: عبد الرحمن بن عبد الله الجيبي الحرّازي. أخذ عنه جميع كتب الأصوليين المعروفة، وعلي بن الحاج من أهل الطويلة. المؤيد بالله: طبقات الزيدية، (523/1).

خلاصة النتائج

من خلال الاستقراء والتحليل وتحقيق مخطوطة الإمام إسماعيل بن القاسم توصلت الدراسة إلى النتائج

الآتية:

- أن تحقيق مسألة طلاق الدور عند الإمام إسماعيل بن القاسم باطلاً، وفق الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء: حيث أن من أقواله "والذي قوي عندنا بطلان هذا الطلاق كونه مقيّد بمستحيل، فهو شبيهه من قال أنت طالق إن طلعتي السماء فهذا معلق بشيء مستحيل، ويعتبر الإمام إسماعيل بن القاسم علم من أعلام أهل البيت وهو الذي حكم اليمن من العام 1045هـ-1635م، إلى عام 1087هـ-1677م،
- وأوضحت أقوال العلماء ببطلان طلاق الدور وفق الكتاب والسنة،
- وتميّز عصر الإمام المتوكل بالعدل والمساواة، والاهتمام بالعلم والعلماء وكانت توجد الهجرات العلمية في جميع مناطق اليمن، وكان أحد الأئمة المجتهدين، حيث قام بتأليف الكثير من الكتب في الجانب الديني والأخلاقي، وهذا ما دفعنا لاختيار إحدى المسائل المخطوطة التي قدمها له العلماء للجواب عليها، ومنها مسألة طلاق الدور، ومثالها كأن يقول الزوج لزوجته: (أنت طالق فُبيل أن يقع عليك طلاق مني بوقت لا يتسع لرجعة ولا طلاق). وقد أجاب الإمام المتوكل عليها بأنها باطلة ولا يجوز أن يتعلمها الجهلة ولا أن يُفتي بها العلماء لبطلانها. يتضح لنا مما سبق أن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم عليه السلام كان عالماً مجتهداً وأنه تولى حكم اليمن عام (1054هـ / 1644م) وعُقدت له البيعة، وتوفي عام (1087هـ / 1676م)، وكانت عاصمة دولته ضوران في محافظة ذمار، وأنه حكم اليمن من عدن جنوباً، إلى صعدة شمالاً، وإلى حضرموت شرقاً، ويعتبر الإمام المتوكل أول من وحد اليمن بهذا الشكل ...
- وكون الإمام المتوكل مجتهداً في علوم الدين فقد اهتم بنشر العلم، واهتم بالعلماء، حيث دونت الكثير من المخطوطات في ذلك العصر، وكان في طليعة المؤلفين والذي كان له النصيب الأوفر في ذلك الجانب.

التوصيات

- ما دام المؤمنون إخوة متحابين يقوم بذمتهم أدناهم، جسد واحد وهموم واحدة فلا أجد حرجاً من أن أُقَدِّم توصياتي فربّ سامع أوعى من مبلغ:
- 1- أوصي الباحثين وطلبة العلم الشريف بالتوجه إلى كنوز اليمن من مخطوطات قديمة لعلماء فضلاء في كل فنون العلم وأن يحققوها بأيديهم كونهم أولى وأحق بذلك من أن يتناولها الجهلة أو البياعين أو المتعصبين؛ فيغيروا مسارها وفق أهوائهم وميولهم.
 - 2- أتمنى أن يسعى المسلمون وخاصّة العلماء إلى لِمِ الشمل وتوحيد الكلمة والصفوف، وليعذر بعضهم البعض الآخر فيما اختلفوا فيه، وأن لا يتركوا للأعداء فرصة أو ثغرة ينفذون من خلالها إلينا وزرع الأحقاد وتنمية الخلافات وتغذيتها بين أبناء البلد الواحد كما تفعل أمريكا اليوم وإسرائيل بالدول العربية والإسلامية.
 - 3- أوصي إخواني من الباحثين وطلاب العلم والآباء العلماء والأكاديميين بعدم التعصب الأعمى للفكر أو المذهب أو الطائفة لأن التخلي عن هذه الصفات هي أخلاق عالية سار عليها علماؤنا الأوائل.
- إن الاختلاف في الدين يُعدّ نعمةً على الأمة الإسلامية وليس رحمة؛ بل جرح لا يندمل؛ لأن المستفيد الوحيد من هذا هم أعداء الإسلام والله سبحانه يأمرنا في كتابه الكريم بالاعتصام بحبله المتين وهو القرآن ويهانا عن التفرق والاختلاف... والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن أبي الرجال: أحمد بن صالح بن أبي الرجال: مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية. تحقيق: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت، اليمن، صعدة، ط1، 1425هـ-2004م.
- 2- ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز: رد المحتار على الدر المختار، (ت: 1252هـ)، دار الفكر-بيروت، ط2، 1412هـ - 1992م.(230/3).
- 3- ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، (ت: 273هـ) : سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- 4- ابن مفتاح: أبو الحسن عبدالله بن مفتاح: شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط1، 1424هـ-2003م.
- 5- بهجة الزمن: يحيى بن الحسين بن القاسم، بدون ط.
- 6- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، (ت: 279هـ) : سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395 هـ - 1975 م.
- 7- الجرزموزي: مطهر بن يحيى: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، بدون.
- 8- الحموي: ياقوت بن عبدالله الحموي: معجم البلدان، (ت : 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م.
- 9- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي، (ت: 1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م.
- 10- شرف الدين: يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي المرتضى (ت: 965هـ): أثمار الأزهار، مكتبة أهل البيت، صعدة، ط1، 1442هـ-2021م.
- 11- الشريف المرتضى: علي بن الحسين بن موسى: مسائل الناصريات، مركز البحوث والدراسات، العلمية، إيران، 1417هـ- 1997م.
- 12- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، (ت: 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422 هـ - 2001 م.
- 13- العنسي: القاضي أحمد بن القاسم: التاج المذهب لأحكام المذهب، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط1، (1366هـ-1947م).
- 14- المتوكل على الله: أحمد بن سليمان، (ت: 566هـ) : أصول الأحكام الجامع لأدلة الحلال والحرام، تحقيق: المحطوري: المرتضى بن زيد ، مكتبة بدر للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ-2004م.
- 15- المنصور بالله: الإمام عبدالله بن حمزة: المذهب، جمع وتهذيب الفقيه محمد بن أسعد المرادي، تصحيح ومقابلة: عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد، ط1، (1421هـ-2001م).
- 16- مؤسسة الإمام زيد: المتوكل على الله إسماعيل في بلاد اليمن : مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، إخراج وتنسيق : حفظ الله أحمد عقيل، صنعاء، ط1، 1429هـ-2008م.
- 17- المؤيد بالله: إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، تحقيق: عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد، ط1، 1421هـ-2001م.
- 18- المؤيدي: السيد مجد الدين بن محمد بن منصور: التحف شرح الزلف، ط3، 1417هـ/1997م، مكتبة مركز بدر - صنعاء، ط مؤسسة الأنوار- الرياض.
- 19- النحوي: الحسن بن محمد: التذكرة الفاخرة، تحقيق: حميد جابر عبيد، مركز التراث والبحوث، صنعاء، ط1، 1427هـ-2006م.
- 20- النووي: محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: 676هـ): روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط3، 1412 هـ - 1991م.
- 21- الهادي: أحمد محمد محمد الهادي: التاريخ، دون ط.
- 22- الوجيه: عبدالسلام بن عباس الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط1، (1420هـ-1999م).
- 23- الوزير: صارم الدين إبراهيم بن محمد: هداية الأفكار إلى معاني الأزهار، بدون ط.